أوبرا

الجسر المكسور

يسرى الأيوبي

عن مسرحية الجسر المكسور ليسرى الأيوبي عام 1973

الفصل الأول

المشهد الأول: (منزل د. عدنان ريحاني. زوجته صفيّة تنسج كنزة لابنها باسم.)

عدنان (متأففا.)
آه يا صفية! أكاد أنسى كل معلوماتي
وأنشقّ غيظا أنني غير ذاتي
لو خُيرت لاخترت حياتي
في مختبر أمنحه إمكانياتي
درت البلاد وقطعت البحار
لأكشف بالدرس والسهر الأسرار
عن المادة المجهولة كي أروضها
وأجعلها بإمكانياتها طوع الإنسان
وبدل أن أكون في مختبر
أغرق في أوراق التصحيح للزمر
وليس في بلادي منزلة علمية أو مكان!

صفية (مؤانسة.)
لانت لك المعرفة يا عدنان
والثروة التي تملكها، لا ينتزعها منك إنسان
ستجد يوما طريقك مهما طال الزمان!

عدنان إلى متى؟ إلى متى!
إلى أن يولّي شبابي، أو أفنى!
أنقل المعرفة في صورة دنيا
وأنسى طموحاتي العليا
كأني لم أطور معرفتي كي تُستثمر
في بلادي لتُحول التراب إلى تبر
وإلى غنى حياة الفقر

بلادي بحاجة إلى المصنع كي تزدهر
وهي سادرة في بناء القصر!
ولهذا أصبح مدرسا للكيمياء،
ولا يُتاح لي أن أكون في مختبر!
(يُسمع رنين جرس الباب.)

صفية (خارجة.)
أسمع رنين جرس الباب!
(تعود بعد قليل.)
برقية مسجلة
لا يسلّمها الموزع إلا لك!

عدنان خيرا إن شاء الله
(يرتدي روب دي شامبر. ويخرج.)
(يدخل باسم.)

باسم أين والدي؟ أريد أن أشتري
كرتا للباص وليس معي نقود

صفية جاءته برقية، وهو
يوقّع عند الباب

باسم ممن البرقية يا أماه؟

صفية لست ادري، صدري منقبض
ليس في الخارج عندنا من يرسل لنا البرقيات
وبما أن العالم حولنا لا يحمل لنا الخير الكثير
فإنني أخشى من شر مستطير!
(يدخل عدنان وبيده برقية.)
ممن البرقية؟

عدنان (يتمعن بالبرقية.)
غريب!

صفية ما هو الغريب؟

عدنان أهناك من أهلك

من تُدعى "سناء لطفي" ؟

صفية أبدا!

عدنان وأنا لست أعرف أحدا بهذا الاسم!

صفية ماذا في البرقية؟

عدنان لا شيء! فقط تهنئة بعيد ميلادي!

صفية (تترك نسيجها.)

اليوم عيد ميلادك؟

عدنان لست أدري... ربما أعرف أنه في هذا الشهر

ولكنني لا أعرف في أي يوم من الشهر

صفية (بقلق وغضب.)

أنت تنسى، وهي تذكر!

وأنا زوجتك لا أعرف يوم ميلادك

ولا أعرف الشهر!

عدنان (ملاحظا غيرتها.)

حبيبتي، أنا لا أذكر إلا عيد زواجنا!

فهو يوم سعادتي وليلة القدر!

لا تغضبي حبيبتي، هو مُشترك بيننا وله الذكر!

صفية (هادئة.)

قد يكون أحد رفاقك يمزح معك...

عدنان لا، أنظري إلى البرقية! إنها آتية من مصر!

صفية قد تكون تلك المرأة التي زارتنا منذ مولد باسم

وكانت زميلتك في الجامعة

عدنان تلك اسمها عصام وليس اسمها سناء

صفية هذا الاسم ليس غريبا على سمعي

عدنان ولا هو غريب على سمعي

باسم أبي أعطني نقودا

لأشتري كرتا للباص

عدنان (يفتح درجه ويُعطي باسم النقود.)

باسم شكرا يا والدي، أنا الآخر ليس الاسم غريبا على سمعي!

(يخرج.)

صفية قد تكون صحفية!

عدنان ربما! لعل مقالي الأخير في المجلّة العلمية

لقي أذنا صاغية في مصر؟

ربما فتح لي باب الحظ أخيرا

وكان عني مغلقا حسيرا

صفية (بفرح غامر.)

ألم أقل لك اصبر فالحظ يكون حليفك

وأنت تريد أن تنفض يدك

من العلم والعلماء، مريرة كانت خيبتك

تريد أن تحرق أوراقك وتدفن نبوغك

مفتّشا عن عمل أوفر ربما لك

كنت دائما أومن بك أكثر مما كنت تؤمن بنفسك!

عدنان يا زوجتي الحبيبة! معي كم احتملت!

قدري الظالم! وكم معي تعذّبت!

غطيتني بحنان عباءتك، ومن حولي الورود فرشت

ففي الغرب يفتحون أمامي كل سبيل

وفي بلادي يضعون أمامي كل العراقيل

ليتني بقيت في مصر، لكنت فعلت المستحيل!

صفية لو بقيت في مصر لما وقعت علي عينك وتزوجتني!

عدنان النصيب عجيب!

امتدت بلادي أمامي، ساحرة فاتنة مغرية
تنام كأميرة تنتظر لمسات يد حبيب
توقظها من سباتها الطويل
والشوق إليها دعاني للرحيل
لأتفيأ ظلّها وأنعم بنسيمها العليل
وهناك كان في انتظاري
قدري السعيد، أن أتعرف عليك
قدري أن أتزوجك وأسعد بقربك!
(صامتا.)
وأعذّبك معي!!

صفية أنت تعذبني؟ اصمت!
سامحك الله!

عدنان عرفت معي الحرمان وصبرت

صفيّة ما أدراك أني أشعر بأي حرمان
تحققت معك أشواق قلبي والوجدان
كنت في شبابي كبيرة الأحلام
أن أصنع شيئا لنفسي
ولكنني حين أُغرمت بك
توحدت فيك ونسيت نفسي
ومطالب الزواج والإنجاب استغرقتني
وغدا طموحي من أجلك
طموحي من أجل نفسي.

عدنان كلما عاشرتك تكبرين في نظري

صفية لا تظن أنني تخلّيت عن هذا الشوق
الذي يحفز الإنسان إلى النور
ولهذا اخترت رجلا موهوبا

ولم أختر رجلا ثريا
رجلا أريد أن أكرره
في حياتي أبناء وبنات على غراره
أعيش هانئة في دفء حنانه
سعادتي أن أراك أنت في النور!
يلهج القاصي والداني باسمك
ولكن أخبرني!
كيف تعرف هذه المرأة بعيد ميلادك؟

عدنان هذا ما يحيرني، كيف تعرف عنواني
ورقم تلفوني الجديد؟
لعل مرسل البرقية وثيق المعرفة بي
وقد لا يكون امرأة

صفية بل هي امرأة.

عدنان كيف عرفت؟

صفية ليس هناك من يهتم
ويذكر أعياد ميلاد الرجال
إلا النساء!...

عدنان إنني أرجح أنه أحد الأصدقاء هنا
يمازحني، كما اعتدت أن أمزح معه
ولعلّه قابع في مصر، يتسلى على حسابي
فقال لنفسه: "اعمل مقلبا معه!"
لا أريد أن أقلق وتكبر أحلامي
لا أتحمل خيبة أخرى ولا في منامي!
(يدخل باسم.)

صفية يا إلهي! تذكّرت، إنه اسم ممثّلة في مصر

باسم (مؤكّدا.)

نعم، نعم، سألت أصدقائي،
إنها ممثلة معروفة في مصر
عدنان (ضاحكا.)
إنها مزحة! لعنة الله على الخبيث
الذي يحلو له معي هذا العبث
سأعرف من هو
وأكيل له الصاع صاعين
ولن يفلت مني هذا اللعين!
(يرن جرس التلفون.)
ألو! ألو، نعم أنا عدنان
من؟ كلا، لم أعرف صوتك
برقية! نعم وصلتني برقية
أرسلتها منذ أسبوع؟
ارفعي صوتك... لا أفهم تماما ما تقولين...
عنواني، أم عنوان أخي؟
نعم، نعم، أنا عدنان
في أي فندق تنزلين؟
"سمير أميس"
كلا، أفضل أن تزورينا في البيت
أهلا وسهلا، متى تشائين
صفية (بقلق شديد.)
من هي التي كنت تحدثها؟
عدنان والله لا أعلم، إنها مرسلة البرقية
تتلفن من مكتب أخي المحامي
بلهجة مصرية لا زيف فيها..
ليس ممن أعرف من يستطيع تقليدها

الصوت نسائي لا غبار عليه

صفية (يشتد قلقها.)

سنرى، ألم تقل أنها قادمة

عدنان هذا ما قالته بأنها قادمة

(يخلع روبه ويرتدي جاكتته.)

أنا ذاهب إلى السوق، هل أنت بحاجة إلى شيء؟

صفية طبعا! إذا كانت ستأتي من بلاد آخر قبل الغذاء

فعلينا أن ندعوها ونكون كرماء

عدنان (يجلس إلى الطاولة ويكتب.)

ماذا تريدين؟

صفية فراريج ثلاثة مجوفة ونظيفة

بازيللا عندي وبطاطا، 2 كيلو شرحات

عدنان خففيها حتى لا أنتظر طويلا عند اللحام

صفية نستغني عن الشرحات

جيب كيلو موز، أربعة برتقال أو يوسفي

نس كافيه حليب مكسرات ولا تنسى الهريسة

عدنان أهذا كل شيء؟

صفية عندي ملوخية وبامية يابسة شو بتفضل؟

عدنان أهل مصر بيحبوا الملوخية خضرا. اعملي بامية...

صفية الله يخليك لا تتأخر!

عدنان كيف ما بدي أتأخر مع ها القائمة؟

لا عندي سيارة ولا حمار أركب عليه!

صفية وأنا كيف بدي أهيئ الأكل وأستقبل الضيوف؟

باسم أنا بستقبل الضيوف!

(يخرج عدنان.)

(باسم وصفية يدخلان المطبخ.)

صفية (منهمكة في تحريك الحليب والنشاء على النار.)
المرأة تفقد نصف جمالها وأناقتها
بعد الزواج. شيء طبيعي، وهذي حالها
العبء كله عليها، وليس من يساعدها
تمر الأيام وأنا أخلع ثياب المطبخ
لأرتدي ثياب النوم، وليس في خزانتي
ثوب لائق ألبسه.
ربة البيت دون من يساعدها
أسوأ حظّا من عاملة مأجورة
فهي لكل الأعمال مسخّرة
غير مأجورة!
وعملها
في البيت له بداية وليس له نهاية!

باسم (مراقبا أمه وهي تحرك الملعقة.)
حين أكبر سأصنع لك مطبخا يُسير بالأزرار
تكبسين زرا فإذا اللحم استوى
والدجاج في لحظات يُشوى
وتكبسين زرا آخر فإذا الثياب غُسلت
وجُففت وكُويت!
لا يستغرقك عمل البيت
أكثر من ساعة

صفية وأين أكون أنا؟ وقد ضاعت حياتي سدى!

باسم (يأخذ الملعقة من يد أمه.)
هاتي عنك... اذهبي أنت
غيري ثيابك وتزيني!
(تخرج صفية.)

لو أن للوعاء يدا ميكانيكية
تضرب ما بداخله لتوفر
لأمي نصف ساعة تقضيها
في ضرب الحليب!
(ينفذ عمليا ما بذهنه فيشبك ملعقة خشبية بيد الوعاء ويدليها في الحليب.)
وهنا يوضع محرك كالذي
يوضع لزجاج السيارة ليزيل
عنها الماء في الأيام الماطرة
(يشم رائحة حليب يحترق.)
أمي ماذا أفعل؟

صفية (من الداخل.)
خفف النار!

باسم أمي، اندلق الحليب على جوانب الوعاء!
فهل أطفئ النار؟

صفية (تدخل دون أن تكمل زينتها، ترى الكتل السمراء على وجه الحليب وما اندلق منه على الفرن واحترق.)
لا حول ولا قوة إلا بالله
أتلفت المهلّبية...
ألم أنبهك إلى تحريك الحليب باستمرار؟

باسم (يذوقه.)
إنه طيب

صفية ولكنه غير صالح ليقدم للضيوف

باسم نأكله نحن!
(يأخذ زبدية يأكل في نهم لاحسا الملعقة من جانبيها.)

صفية هل ستأكل بهذه الطريقة أمام الضيوف؟

باسم (ضاحكا.)
بل أتهذّب. أمي نسيت كيف آكل بالشوكة والسكين
لقلّة من يزورنا من ضيوف.. لماذا لم نعد نأكل
بالطريقة الرسمية؟
صفية حتى تأتيني بآلة لغسل الصحاف
أرتّب لك كل يوم مائدة رسمية!
فأنا باختصار أمضي ساعات ثلاثة
في غسل الأواني،
(تُفرغ المهلّبية في زبادي، وتأخذ فـي تنظيـف الطنجـرة المحروقة.)
هذه وحدها تكلّفني نصف ساعة في
تنظيفها أو أكثر، ولا تعود إلى حالها.
باسم ماذا أرتدي؟
صفية ماذا ترتدي؟ لباسك لا بأس به
باسم بنطلوني يحتاج الي كي
صفية أنت لا تترك شيئا جديدا للمناسبات!
كل جديد تلصقه عليك وحين تخلعه
تكومه في الخزانة فلا يكون لك جديد للمناسبات
باسل ماما، أرجوك إكوه لي!
صفية لا تشغلني بنفسك... ألا تراني أنظّف طنجرة الحليب؟
باسم أرجوك يا أمي سأضع لك على الطاولة حرام وشرشف
للكي، أين تضعين المكواة؟
صفية في خزانتي تحت الأدراج!
باسم (يدخل حاملا بنطلونه الجديد وعدة الكوي.)
لولا أنني أخشى أن أحرقه لكويته بنفسي
صفية لن تتعلم شيئا ما دمت تخشى أن تمارسه

ولكنّك تطمع بأمك أنت وإخوتك

باسم (يقبلها.)

لماذا خلق الله الأم إذن؟

صفية (تكوي البنطلون.)

مجنونة تلك التي تتزوج

قبل أن تحقق ذاتها

بدأت حياتي ممثلة

أثرت إعجاب من شاهدني

كنت في الدرب للمجد والشهرة

لولا أن والدك أمسك بي سجنني

بين جدران أربع وتركني

باسم لماذا رضيت؟

صفية قسمتي ونصيبي...

أردت أن أكون أما

دافع الخلق يجذبني!

لأنجب ولدا مثلك

ومثل إخوتك

باسم هل أنت نادمة؟

صفية أبدا! هل هناك أجمل

من إرادة الخلق تدفعني

للخلود في أبنائي؟

لا تكتمل سعادتي

إلا في زواج يسعدني!

باسم الآن كنت تقولين مجنونة من تتزوج

صفية هذا كلام يمليه علي القهر، أنفّس به عن صدري

باسم وما الذي يقهرك؟

صفية أنني لا أحقق ذاتي!
واجبات ترهقني في المدى البعيد
ويمضي الزمن وليس سهلا
أن يبدأ الإنسان من جديد!
يفقد الممارسة ولا تُغني الموهبة
يسبقه جميع ممن كانوا دونه
ويبقى في مكانه العتيد.
خذ بنطلونك!

باسم (يخلع بنطلونه القديم ويرتدي الجديد.)
أتعرفين ماذا يخطر ببالي يا أماه؟

صفية ماذا؟
(تنقّي الحليب من الكتل البنية وتخفقه مرة أخرى وتسكبه في زبادي.)
أرشّه بجوز الهند وحين يأتي والدك بالمكسرات
أزينه بها، وفوقه حبة من كرز معلّبة

باسم كي تستريحي يا أمي
أصنع لك إنسانا ميكانيكيا
يقوم بأعمال المطبخ عنك!

صفية (ضاحكة.)
الأفضل أن تصنع لي مجتمعا
يقوم بكل أعباء المطبخ عني!

باسم هل هذا ممكن؟

صفية طبعا ممكن.. فقط لا تحجر ذهنك
وتقول: "لماذا خلق الله الأم"
لتقوم عنك بالأعمال
من الأفضل لها أن تصنع الرجال

ليكونوا مثلك!
أرضى بقدري إذا رأيتك
وأخاك وأختك
تصنعون للمستقبل
ما عجزت أنا أن أصنعه

باسم ماذا نفعل؟ ماذا تريدين أن نفعل؟

صفية تكونون طلائع من يغير قدر المرأة في المستقبل
(تفرك وعاء الحليب بليفة الألمنيوم.)

صفية مضى على المرأة دهر وهي تُقهر
تدفع ثمن الأمومة غاليا وهي تهدر

باسم البند الأول لتحريرها نلغي الأمومة

صفية (ضاحكة.)
أتقلّد والدك أيها الخبيث؟

باسم أنا جاد...
نصنع آلة تفريخ هائلة لذرية البشرية

صفية قانعات نحن بقضاء الله في جنسنا
أن نكون آلة تفريخ لذرية البشرية
ظننت الزواج حبا وغراما وأطفالا صغارا
يملؤون الحياة بهجة، ويكبرون أنصارا
لم أحسب للأمومة حسابا غيارا
غسل الفوط الملوثة، والطناجر المحروقة
والقيام أبكارا والسهر أسحارا

باسم احترق الحليب معي لأنني
كنت أتمثّل اختراعا أوتوماتيكيا
لتحريك الحليب!

صفية أوتوماتيكيا؟

كلما زادت آلة في مطبخ المرأة زاد عملها
وتكثر الواجبات عليها تسرق وقتها
انتبه لوقتك... أنا أستغرق في العمل
ولا أنتبه للوقت.

باسم معي وقت.. أراقب ساعتي وأنتبه للوقت.
ما الحل إذن؟

صفية أي حل؟

باسم لتحرير المرأة، واختصار الوقت

صفية الحل يأتي وحده حين يرفض جنسنا
أن يكرس حياته للمهمات الصغيرة
التي يمكن للآلات الكبيرة أن تقوم بها عنها
وباختصار، تدويل أجهزة المطبخ كلها
وسترى أنها حينذاك تحقق طموحها وأشواقها
ستراها حينذاك تعرف دورها
طبيبة، مهندسة، أديبة، شاعرة
مدرسة ناجحة، مربية، عالمة قادرة
تجول قي كل المهمات التي تصلح لها
تطور في كل المجالات كما الرجل يطور فيها
وتبعث في منزلها
روح المساواة تحترم ذاتها
تعرف ما ينفعها وما يضرها
ولا ترضى بعيش دمية
لمن يريد أن يلعب بها
تختار بإرادتها حبها وحبيبها
ولا تسمح لأحد أن يُفرض عليها

المشهد الثاني: (عائلة الدكتور عدنان مجتمعة في الصالة تنتظر قـدوم الآنـسة سناء لطفي.. يرنّ جرس الباب.)

باسم سأفتح الباب!

عدنان بل سأفتحه أنا!

(دهشته تبلغ أقصاها حين يرى القادمة.)

أهو أنت؟ لماذا غيرت اسمك؟

القادمة (ضاحكة.)

لأحيرك، وأرى الدهشة على وجهك!

عدنان لماذا تأخرت؟ تفضلي، أخي تفضل!

هيثم أخو عدنان أنا انتهت مهمتي، أوصلتها لأنها لا تعرف بيتك

وتأخرنا لأن شريكي كان غائبا عن المكتب

عدنان أدخل، لماذا أنت واقف بالباب؟

هيثم لا أستطيع، العمل على قدم وساق

وداعا إلى مرة ثانية

(يذهب.)

عدنان سأعرفك على أسرتي

تعرفين منذ زمن زوجتي

صفية (تترك نسيجها وتقف مسلّمة.)

أهلا، أهلا بماذا تحبين أن أدعوك

آنسة عصام أو آنسة سناء؟

سناء بسناء فهو اسمي الفني.

عدنان هذا جهاد ابني الأكبر سنة ثانية جامعة

وهذه نورا سنة أولى

وهذا باسم حادي عشر ثانوي

سناء (تقبل الجميع مسرفة في التهليل.)

جهاد كم تشبه والدك، طلعة حكيم

وأنت يا نورا الحلوة الطفلة أصبحت شابة فاتنة
وأنت يا باسم كنت رضيعا في الأشهر الستّة
وأصبحت الآن من الطول بحيث أرفع عيني حتى أراك
(ملتفتة إلى الزوجين.)
أهنّئك يا دكتور على أسرتك
أهنّئك يا صفية على أولادك

صفية (قلقة بعض الشيء.)
ألم تتزوجي؟

سناء لا، شغلني الفن عن الزواج

عدنان لماذا تركت الجامعة وتوجهت للفن؟

سناء رسبت في العلوم فتوجهت إلى الفن
هوايتي الحقيقية كانت التمثيل
ألا تشاهدون الأفلام التي شاركت فيها
وتلك التي أصبحت بطلتها؟

عدنان لم نشتر التلفزيون إلا منذ عهد قريب

سناء ألا تُعرض أفلامي في السينما في دمشق؟

عدنان كلنا مشغولون! أنا في التدريس
وأولادي في الدراسة.. جهاد ونورا
كانا من الأوائل في البكالوريا!

باسم (مهتاجا.)
أنا حضرت فيلم "الحب والعدل" وكنت بطلته

عدنان (يرمقه بنظرة غاضبة.)
كيف تذهب إلى السينما دون إذني؟

صفية أنا ذاهبة لأسكب الطعام
تعالي معي يا نورا!
(تخرجان.)

عدنان وماذا تفعلين في دمشق؟

صفية جئت مع فريق العمل
لنمثّل فيلما أحداثه في دمشق

عدنان ما هو موضوع الفيلم؟

سناء "صلاح الدين الأيوبي" ..
بعد الغداء سنذهب لزيارة ضريحه
فهل تذهب معنا؟

عدنان لا ضرورة لذلك، هل أنتم باقون طويلا في دمشق؟

سناء حتى ننتهي من تصوير الفيلم
قلت لنفسي: "سأرى ما فعل الله بدكتور عدنان؟"
اشتقت لأعرف أحوالك وماذا فعل بك الزمان!
وكُلّفت بمهمة...

عدنان بمهمة تتعلق بي؟

سناء نعم! أوكلني بها عميد جامعتنا
الدكتور فهمي عمران

عدنان والله كم أنا مشتاق إليه
ألا يزال عميد الجامعة؟

سناء بل نُقل إلى مركز البحوث في القاهرة
وعندما عرف أننا ذاهبون إلى دمشق
كلّفني بزيارتك لأسألك
إن كنت تحب العمل معه، إنّه يقدرك
ويقرأ ما تنشر من أبحاثك
وأُعجب كثيرا بآخر مقالاتك
في المجلّة العلمية عن البترول
حين أشرت أنه يدخل في ثلاثة آلاف صناعة
وحرام أن يُستخدم كطاقة

وأن هذه المادة على الأمة العربية
استخدامها في الصناعة البتروكيمائية
وهو شديد الرغبة لاصطفائك
في مركز البحوث عندنا ليتعاون معك
فما رأيك؟

عدنان إنني مرتبط بالجامعة الآن!

سناء لديك مهلة لتدبير أمورك
وقبل أن أسافر أحمل إليه جوابك!
(تدخل صفية تدعو الجميع إلى الغداء.)

عدنان سنتحدث في هذا الأمر فيما بعد

المشهد الثالث: (د.عدنان وباسم)

عدنان (لنفسه.)
ها هو ينتصب أمامي عملاقا وسيما
يحمل ما كنت عليه في سنّه، صلفا وغرورا
علي أن أروض فيه مرح المهور
ما الحب إن لم يكن غيرة محمومة على من نحب
أجنّبه مهاوي الطيش في مطلع الشباب
أجعل منه راية على الدرب
والعلم صلاته والمحراب
لن أكون أبا مغرما بخلوده
لو تركته ينمو صدفة كالأعشاب
هملا، ضائعا، بين الأتراب
لي فيه ثواب يوم الحساب
أنا من يحرق دماغه من أجل الأحباب
(يدخل باسم.)

إجلس أمامي! ما هذه العلامات التي أحرزتها؟
لأي مستقبل تؤهلك؟ ألا تخجل منها!

باسم (يجلس صامتا متربصا، نفورا يخشى أن يُهان.)

عدنان (لنفسه.)
ما هذا العنف اللاهث،
الولوع العنيد الإصرار؟
إنه على شفا هاوية عميقة القرار
إن لم أتداركه قبل البوار
أن أكون صديقا ومربيا لا يجتمعان
بينهما برزخ لا يلتقيان
الصديق يُصغي ويتعاطف،
والمربي يصنع الأقدار!
(بصوت عال.)
ماذا يقول الناس عني؟
أفشل أن أكون لولدي مربيا
وأنا الذي أربي الأجيال!
تُسود الوجه علاماتك،
وأنت سادر في لهوك والضلال
يتخطّاك الجميع وأنت على كلال!
أخبرني أين كنت أربع ساعات طوال؟
تسير على غير هدى في الحقول حتى الزوال

باسم كنت مع رفاقي...

عدنان أضاعك الرفاق الفاشلون
أضاعك الرفاق العابثون
الجميع طريقهم سيجدون
وبسياراتهم الحديثة سيمرون

وأنت تسير مشيا على الطريق!
الغني يسعفه مال أهله
والمنافق ينزلق إلى الرتب العالية بنفاقه
ومن يعتمد على أصحاب النفوذ
يطرد الدقّاع بذراعه
أما أنت بغرورك واعتمادك
على سمعة والدك
تريد أن تمر من خرم الإبرة بعلاماتك
حاملا إرثا ثقيلا بكساك!

باسم (محتقن الوجه.)
فعلت جهدي، والحظ لم يسعفني

عدنان لا أقبل منك هذا الجواب
إن من جد يُثاب
ولكنّك قصرت في التدريب
وفشلت لظنّك أنت الأريب

باسم لست مقصرا
كيف لو رأيت علامات رفاقي
كلّهم ضُربوا في الامتحان

عدنان هذا كلام من يريد ألاّ يرعوي

باسم أعطني حريتي لأتصرف في وقتي!
ألا أفكّر أنا الآخر في مصلحتي؟

عدنان هذا ليس رأيي وحدي فيك
بل رأي صفو أساتذتك فيك
الموهوب الذي لا يرتفع عن الأوساط
يُعد مقصرا، وأنا لست متحاملا عليك

باسم نتائجي آخر العام ستشهد لي

عدنان هل أنتظر آخر العام لأفاجأ بنتائجك؟
النتائج يقررها سلوكك
وأنا غير راض عن سلوكك
أيامك أعياد واحتفالات
سينما ومسرحيات
باسم ألا يحق لي أن أتنفّس؟
عدنان تنفست ما فيه الكفاية أيام العطلة
لا أبرم معك عهد إلا نقضته
باسم متى؟
عدنان تلتزم بالاجتهاد يوما أو يومين ثم يصيبك الملال
وعلاماتك منتصف العام هي المثال
لا أريدك أن تعرج منذ الآن
للبكالوريا التي تقرر مصيرك بشكل حاسم
إما تبرز فيها كأختك وأخيك
أو تعض الأصابع وأنت النادم!
لا تملك أسرتنا بئر بترول ولسنا حواة
ليس لنا إلاّ العلم مسلكا في الحياة
(لنفسه.)
أريد أن أكون هادئ الأعصاب
ولكن يرعش صوتي الغضب
قالت لي زوجتي:
"كبر الأولاد وعلينا أن نعاملهم
بحذر، جراحهم
تنزف بغزارة لو خدشتهم
والإساءة إليهم
كميسم من نار تلسعهم

بحذر، عاملهم"
كبر الأولاد، الخ.
(بصوت عال.)
يا بني نحن من عائلة
تكاسلها جريمة
وإسرافها دمار
ولهوها وبال
لا أستطيع بإمكانياتي
احتمال أولاد فاشلين!
فعد إلى رشدك واحرص
على اجتهادك.. لا ينفعك
في الدنيا إلا علمك!
(لنفسه.)
أريد أن أقسو عليه
أريد أن أحفّز همته
فتى قادر أن يكون طليعة جيله
لماذا يتقاعس؟
لو أن دمعي يُلهب جذوته
لما توانيت عن البكاء
(بحدة.)
أمامك طريقان لا ثالث لهما
إما أن تنصرف إلى دراستك
أو أنفض يدي منك
وإن جئتني آخر العام
بعلامات سوداء
تترك دراستك وتعمل بمهنة تنفعك!

(باسم محتقن الوجه يكاتم دمعه، د. عدنان يرقّ قلبه.)
سأعطيك حريتك لتتصرف في وقتك!

المشهد الرابع: (د. عدنان وصفيّة في الصالة)

صفية كل شيء يتساقط
ورق الشجر وقشّ الدواوين
ووبر السجاد وشعر أولادي
وهباب المداخن وتراب الجو
تُثيره الشاحنات في الشارع
وميزانية البيت
(إلى نفسها.)
وثقتي فيك!...

عدنان كفاك شكوى!

صفية وأنت كفاك شكوى!
لا تريد أن ترى الحقيقة التي تزعجك
تنفّس عن صدرك وتنكّد عيشك!
لو كان أولادنا صاحين واعين
لو أنهم المراجع عندي يطالعون
في العطلة ينامون ويسبحون
والروايات التافهة يقرؤون!

عدنان ألا ترينهم يفعلون؟
حتى في الجامعة بدؤوا يتهاونون!

صفية في السن التي كانوا فيها يرغبون
بقراءة الروايات ويتثقّفون
كنت تمنعهم

عدنان قراءة الروايات ثقافة الفاشلين!

صفية لماذا مكتبتك عامرة بالروايات والمسرحيات
والأشعار: لفولتير وموباسان وفكتور هيغو؟
هل كانت هذه ثقافة الفاشلين؟
إنها لقدمها أرجح أنك قرأتها
في سن أولادك، وأنا استفدت منها!
الثقافة الجيدة تُعطي الإنسان
بعدا إنسانيا،
يتعلّم من تجارب سواه تعطيه العبرة
بأن الإنسان نفسه في كل مكان
في طموحه وحبه وغيرته
وفي فرحه وحزنه، وغروره وسطوته

عدنان آه منك! لا تحسين بقلقي.. أليس معي الحق أن أشكو؟

صفية معك الحق أن تشكو، ولكن ليس من أولادك
والأولاد قد يعطونك أسبابا للشكوى!

عدنان ما كنت أشكو من جهاد ونورا حتى دخلا الجامعة
كأنما العام ينتهي حين نتجاوز مرحلة البكالوريا
منذ شهور تعمل نورا في مكتب هندسي
وأخشى أن تبعزق وقتها وتفشل في جامعتها
(تدخل نورا وتقبل والدتها ووالدها، إنها على استعجال من أمرها.)

نورا ماما هل الغداء جاهز؟

صفية يحتاج إلى تسخين، رتّبي المائدة
وأنا أعمل السلطة

عدنان (على المائدة.)
كم هي أجرتك في الساعة؟

نورا (تغص وهي تبلع الحساء على عجل.)

لا أعلم..

عدنان كيف لا تعلمين؟ كيف يُعامل من هو في وضعك؟

نورا ليس من أحد في مثل وضعي وأنا لا أسأل
أتدرب ولست موظفة كالأخريات.
(لم تلاحظ جفاء لهجتها. انكمشت تأكل مثبتة عينيها على الطبق أمامها.)

عدنان (مازحا.)
تخشين أن أطالبك بشيء؟ لا أحاجني الله إليكم أبدا!

صفية الأولاد تركوا لي مصروفهم هذا الشهر.

عدنان لماذا قبلت؟

صفية لماذا أرفض هدية من أولادي في عيد الأم؟

عدنان (هازا رأسه معلّقا.)
لا أحاجنا الله إليكم أبدا!
(نورا تترك المائدة وهي تبكي.)
(تضيق عينا الوالد، يتجهم ويزم شفتيه مصرا على أسنانه.)
أرأيت؟

صفية إنها تبكي ولا تريد أن نشاهد دموعها!

عدنان ألا تحتمل كلمة مني؟

صفية إنها شديدة الحساسية

عدنان لا تحتمل مزاحا من أبيها؟

صفية الجو المتوتّر يخلق الحساسية

عدنان أنا خلقت التوتّر؟

صفية لا، أنت محق في غضبك
ولكن ليس عدلا أن تغضب من الجميع
بسبب باسم...

عدنان هذه عواطفهم الحقيقية

لن أترك هذا يمر أبدا...أتململ!
عميت عيناي من تصحيح الأوراق
وأعاني من آلامي العصبية
أحمل لهم الحاجة من محلات قصية
ويُلقى الطعام في وجهي؟
هذه حصيلة تربيتك، الوقاحة والفشل.

صفية كل الآباء يجدون صعوبة في تربية أولادهم
يرفضون الحوار معهم
لماذا أكون أنا جسرا بينك وبينهم؟
ما الفائدة التي نجنيها إلا أن نخسرهم
يكرهون عشرتنا ويُخفون عنا أسرارهم
لا يجدون صدرا رحبا لمشاكلهم
وإن وقعوا في أخطاء لا نعذرهم
لماذا الحوار مفقود بيننا وبينهم
لننتبه لأنفسنا فالجسر مكسور بيننا وبينهم

عدنان إن هذا واجبك!

صفية وأكون فاشلة لو لم أُبردخهم
كي يصبحوا مثالا لطموحك فيهم!
ماذا كنت تفعل لو كانوا مثل غيرهم؟
من أبناء أصدقائك وأقاربك؟

عدنان ألا تجدين لي إلا أمثال الفاشلين؟
أما بنو آدم لا نتشبه بهم، من المفلحين!

صفية قد يكونون أبناء أسماء مغمورة
آباؤهم أميون وهم بررة
الحياة ترهف حواسهم ويحرزون النصرا
لا يلاقون مثل أولادنا القسرا

نخنق أشواقهم ونعصرهم عصرا!

عدنان برري لهم الفشل. عبثا مخاطبتك

هؤلاء ليسوا أولادي، هؤلاء أولادك!

لا ينتمون إلي! خذيهم نحوك!

صفية (لنفسها.)

جاء دوري لأغضب

(تردف.)

أتمنى أن تحضر جنازتهم كلهم

كلهم وأنا معهم. لا تريد عائلة من لحم ودم!

مجرد أمجاد لك لتفخر بهم

لا تؤيدهم! مهما فعلوا لاتشجعهم!

يتقدمون ويعثرون ويتعلمون من تجاربهم

بل فرسانا بلا كبوة

بلا خطأ أو تجربة

دائما دون مستوى أحلامك!

ليس هذا هو الحب! إن لم تشجعهم

وتعترف بأي فضل لهم

(تلقي برأسها إلى المائدة وتبكي.)

عدنان لا أواجه منكم إلا بالعقوق

وكل كلام آخر مجرد تزويق

منافقون فاشلون!

تظهر عواطفكم بالأشياء الصغيرة، وأنتم لاتحسون!

بموقف ابنتك تنتر نفسها وتترك المائدة

وبدل أن تصفعيها على وجهها لوقاحتها

تبررين تصرفها ولا تردعينها عن غيها

أنتم غرباء عني، لا أحد يستمع مني نصائحا

كأنني لست أبا محبا، وزوجا صالحا
يتحرق شوقا لأراهم، مصانين بعلمهم
تأخذين علي أني أدفعهم إلى طريق النور وأجهزهم
بأدوات المعرفة، فالحياة لا ترحمهم!

صفية أسبابك أعرفها، لم يقدرك المجتمع حق قدرك
كفاءاتك معطّلة، ولا تلقى العرفان موهبتك
أنت تنفّس عن صدرك منا بشكواك!
لأننا لا نحقق آمالك!
لا تعاملنا كأنك إقطاعي خارج
من إحدى مسرحيات موليير!
الحب شيء مشترك، لايبذل
من طرف واحد!
إنه احترام متبادل، وثقة متبادلة، وفهم متبادل
الحب لا يُهدر بالبتر ولا بالقطيعة يختزل!
إن خاب يوما مأملك، وضاقت بك السبل!
لجأت إلى كلمات أصبحت سهلة على لسانك
تغيرت كثيرا دون الانتباه لنفسك
وتتهمنا اليوم بما هو صدى شعورك
(تحمل الصحاف عن المائدة وتذهب غاضبة إلى المطبخ.)

المشهد الخامس: الدكتور عدنان وزوجته صفيّة أمام التلفزيون. د.عدنان ينظر إلى الشاشة ولكنه لا يرى. إنه مشغول البال بباسم.)

د. عدنان سلوك الصبي يزعجني، لم يعد عندي صبر
لن أكون أبا محبا إن لم أشدد قبضتي وأنا أراه في خطر
ينفلت كالزئبق من يدي، لا لنصيحة يستمع ولا يتّخذ العبر
شهران مرا وهو ممتاز! والآن يتراجع وينحدر

صفية كان في أزمة وانتهت...

عدنان وأية أزمة؟ أألكون أنا آخر من يدري بالخبر؟

صفية كان يريد أن يتقدم بطلب لدخول الكلية العسكرية

عدنان رفاقه الأوباش يزينون له هذا الطريق الوعر

صفية لا دخل لرفاقه في الأمر

رغبة الاستقلال والمغريات

فيها قوية!

ولكنني أقنعته أن هذا ليس طريقه، وانصاع للأمر...

عدنان لا أظنّه يتخلّى عن هذا ما دام يتملّكه الغرور والفخر

مأوى الفاشلين. هروب من السلوك الجاد إلى القبر!

(ينتفض من جلسته ويدخل غرفة باسم، يراه يخلع منامتـه، ويستعد للخروج من البيت.)

إن خطر لك أن تلتحق بالجيش فاعلم

أنني أقاطعك إلى الأبد وأتبرأ منك

ما عدت أطيق تصرفاتك

متعب أنت لا ترعوي، ملول متهور، هذي صفاتك!

تجعل من الجيش تهديدا لي

كلما أردت أن أكبح جماحك

تقذف في ملجأ الفاشلين والمرتزقة نفسك

قبل أن تتم دراستك؟

(يرتفع صوته مهددا.)

اذهب واعمل أي عمل منتج ليس لدي مانع

مارس حياة الأكف المجروحة، والعرق المتصبب

إحمل الأثقال ليس لدي مانع!

إن كان الدرس يُضنيك، ليس لدي مانع!

باسم لا أرغب في الجيش ولا في العمل المبكّر

(في هدوء أعصاب.)
أنتم من تجعلوني هكذا أفكّر!

عدنان سمعت أنك ورفيقك تعملان في الطلاء
فما الذي يدفعك لمثل هذا الشقاء؟

باسم أريد أن أطلع مصروفي في الفرصة
فلا أكلّفك الإنفاق علي!

عدنان ألتذهب مع شلّة رفاقك؟
إلى المسابح والسينما، وغيرك
يدرس منهج البكالوريا منذ الآن؟
ليتجاوز النقص في معلوماته، ولا يرتبك!
فالعلم سلسلة تتبع بعضها.

باسم (بلا مبالاة.)
لكل شيء زمن! لماذا تُعطى الفرصة؟

عدنان إجعل الأولوية في حياتك
المرح مع الفاشلين هذا ما تعده لنفسك!

باسم هذا الكلام لا يُقال لي، أنا لست فاشلا!

عدنان لا يُقال لك يا وقح!

باسم لست وقحا!

عدنان اغرب من وجهي!

باسم الفشل، الفشل، الفشل!
لا تضعون صورة أمامي إلا الفشل!
ثق أنني لن أفشل!
وإن فشلت فهذا بسببكم!
وبسبب أساتذتي الذين يحلو لهم
كيف يدمرون المستقبل!
حتى للموهوبين،

بدل أن يصقلوا موهبتهم!

عدنان اغرب عن وجهي!

باسم لا ترفع يدك علي! أقسم

لو أهنتني لن ترى وجهي أبدا!

عدنان اذهب لا ردك الله!

باسم لن أذهب، هذا بيتي وأنتم مسؤولون عني

عدنان ترضخ للأوامر أو تخرج من البيت

ليس عندي ولد يسهر إلى منتصف الليل!

(يخرج إلى زوجته.)

اذهبي إليه واعرفي جوابه

أتمنى لو تفرمه عجلات سيارة

أو يغرق في البحر

على أن أراه فاشلا

يجر وذريته ذيول الفشل!

(تدخل صفية حائرة صامتة.)

(لنفسه.)

فشلت في ترويضه، وتريد أن تروضني

عصاة، لأنها تتساهل ولا تساندني

(إلى زوجته.)

كسر كلمتي وخرج من البيت! (تهز زوجته رأسها.)

"قبل يد أبيك واطلب صفحه، وامتثل لأمره" هكذا كانت أمي تجرني

حتى لو كان على خطأ وأنا على صواب

هكذا تفعل الأمهات الحازمات

ليسود السلام بين الآباء وبين البنين والبنات

صفية (بهدوء.)

قال لي بأن الواجب الذي يُلزم به نفسه
لا يؤمر به ولا يُجر إليه!
د. عدنان خبرته! عنيد لا ينفّذ إلا ما يرغب به!
الغضب يمزق قلبي من أجله،
ولا أستطيع عليه الصبر
ولا أستطيع بحجم غضبي وعناده
إلا أن أموت بجلطة من القهر.!

المشهد السادس: (عدنان وصفيّة)

عدنان أنت معقّدة!
صفية أنا معقّدة؟ ليس هناك من امرأة تدرك ذاتها
وتعرف مثلي حجمها وإمكانياتها
عدنان إنك تغارين!
صفية لست أغار.. أشبعت مشكلتي تحليلا ولا أغار
أعلم إلى أي مدى تتهددني الأخطار
أحدثك وأنا مالكة تماما لأعصابي
لا يعقّدني شيء، ولا الخوف في حسابي
مم أخشى؟ لها إمكانيات واضحة لا تتجاوزها
ولي إمكانيات كامنة لم تتح لها
بماذا تستطيع أن تغريك بعد سن الأربعين؟
ألتنجب لك الولد وبيتك عامر بهم؟
أم لتبهجك بعد أن جمدت عواطفها؟
أم لتكون ربة بيتك وهي عاشت لفنّها؟
هل ستقوم بالتضحيات التي قمت بها
على حساب موهبتي التي أنت عارف بها؟
أعرف أنها لا تستطيع سلخك عني،

أنا الحياة وهي سرابها
أعرف لو تزوجتها لن تحتملك شهرا ولا أنت تحتملها
تراني مطمئنّة لا أخشاها فكيف أكون معقّدة وأغار منها؟
هي تغريك بمجد أنت أهل له
وأنا وإن كنت أتمنى أن يُفتح لك طريق المجد عن غيرها
إلا أنني أحبك ولا أريد أن أحرمك
من فرصة سانحة لمجدك لو فوتها
عليك بغيرتي وحماقتي لنقمت علي لو فقدتها!
وإن كنت واثقة أنك تملك كل شيء بدون مساعدتها
هي التي يستهويها هذا المجد الذي تتنسم فيك بشائره
وتستغلّه لحسابها.
وتسرق مني ثمرة علوية عانيت سنين لإنضاجها
فهي إذ تضع ثروتها في استثمار موهبتك
تجعلك في وضع رجل يحس بأن عليه
أن يرد الجميل بالتقرب منها!

د. عدنان هل انتهيت من كلامك؟

صفية لا، لا تحسب بأني سأهدر كرامتي أمامها
لن أمتّعها بمشهد مسرحي تبتهج فيه بنصرها
ما أفعله أن أسترد منك عواطفي وأوجهها
نحو نفسي، سأفعل المستحيل لأبرز القوى الكامنة فيها
سنين قد سرقت من تحقيق ذاتي قد أفشل في تعويضها
إنني التقط فرصة أخيرة لإمكانياتي التي أهملتها!

عدنان وماذا بعد؟ لماذا صمتّ؟

صفية ليس عندي شيء بعد!
كل ما أريده من حياتي
أن لا يكون دوري منجبة للأولاد في حياتي

عدنان تهدديني إذن بالتخلّي عن الأولاد؟

صفية لا أهددك، أنا العنصر الضعيف لا أنت
أنا التي لا أستطيع التحرر منك ولا من الأولاد!
كان في حياتي موضوع وجهت له أشواقي
نجحت فيه وأريد أن أعود إليه أحقق ذاتي!
لا أستطيع أن أقفز في الفراغ لتأهيل نفسي له
ولم أعد أملك المرونة الكافية للنجاح فيه

عدنان هل انتهى حديثك؟

صفية لا من المؤكّد إن فارقتني لن تعود لتجدني
أنا نفسي. شيئا ما سيتغير في!
فضع في حسابك احتمال هذا التغيير..

عدنان أرى أنك تذهبين في الخيال إلى البعيد!
ليس بيني وبينها إلا علاقة عمل جديد
لا أريد أن أسافر وأنت تتوهمين الحماقات
لن أغيب طويلا، أدرس الوضع ثم أعود
فإن وجدته ملائما، أنقلكم جميعا إلى هناك!
(يُسمع بوق سيارة.)
ها هي السيارة قد وصلت، هيا وداعا!

صفية لا، لا تقبلني! لا أحتمل وداعا لا عاطفة فيه
ولا قبلة من رؤوس الشفاه.. إذهب وليوفقك الله
(يخرج، وتنخرط صفية في البكاء.)
يا من توقد القلوب حولك
كيف لا أخشى فقدك؟
كيف لا أغار عليك في بعدك؟
لا أحب بعد الشقة بيني وبينك
أنا في مكاني وأنت تتبع مجدك!

موهوب شجاع وسيم والصدق طبعك
كيف لا تحبك غيري مثلما أحببتك؟
لا تتركني وحيدة أسكب الدمع لبعدك
أصارع عمرا لا نشوة فيه مثلما كان قربك!

المشهد السابع: (جلسة أسرية في منزل الدكتور عدنان، الأم غائبـة، الـساعة العاشرة، يوم ربيعي مشرق، نورا تحضر الفطور.)

جهاد ماذا جرى لنا؟
زري حالنا
منذ دخلت تلك المرأة بيتنا
الأسرار تكتنفنا
أبي غائب في مصر يبحث عن عمل
وأمي منذ الصباح تبحث عن عمل
هذا لا يجوز، سأترك الجامعة وأعمل

نورا لا، أنا التي سأعمل
دون أن أترك الجامعة
وجدت عملا إضافيا
في مكتب أستاذنا الدكتور عمار

جهاد هل أجد أنا عملا عنده؟

نورا مكتبه مكتظ بالبنات
الكراسي قديمة تكاد تنقلب فينا
المكتب حشر
نعرق في أيام الحر
ونقرقر فيه أيام البرد
اخترته لأنه مدرس في صفنا
أما أنت فاختر مكتبا آخر

يكون أفضل في المكان وفي الأجر

جهاد كم يعطيك في الشهر؟

نورا لم أبحث معه هذا الأمر

أتصور أنه يكافئني عن إنجاز عمل معين

بين الحين والحين

ناد باسم، قل له الفطور جاهز

فإن لم يفطر معنا

سأعيد الصحاف إلى البراد

وأترك له جلي الصحاف والأكواب

(يخرج جهاد.)

جهاد هذه حال لا تُطاق. رب أعد والدي لنا

لترجع بسمتنا، وعلى المائدة يحلو جمعنا

أمي تلملمنا ولذيذ الطعام يجمعنا

رب، لا نطلب إلا الكفاف والحب يحمينا

(يدخل باسم يفرك عينيه ووراءه جهاد.)

باسم (مغتاظا.)

لا تتركون الإنسان يشبع نوما!

جهاد (مؤنّبا.)

أيجب أن تسهر مع الرفاق إلى منتصف الليل؟

ولا تفيق حتى العاشرة؟

أنا ونورا منذ السادسة استيقظنا

نراجع دروسنا!

باسم أنت تجد رفيقة لك، تذهب وإياها إلى الكلية

تدرسان معا وفي الرحلات الجامعية معا

أما أنا فالكل يحاصرني

لا تذهب عند رفاقك

ولا تسهر معهم في بيتك
أتريدني أن أجلس وحيدا؟
قرب التلفزيون حتى الثانية عشر

نورا لا تنتهز فرصة غياب والدك لتلهو
إصرف وقتك فيما ينفعك
ترك لنا والدك بعض المال
وقد نفذ
أمك تبحث عن عمل
وأنا وجهاد نبحث عن عمل
إن طال غياب والدك ماذا نفعل؟
ربما يستمرئ الحياة في مصر ويتركنا
من يدفع فواتير الكهرباء، والديون
للسمان واللحام؟.. ومن؟.. ومن؟..
أنترك العبء على كاهل أمك في معيشتنا؟

باسم بابا لا يتخلّى عنا. إن وفّقه الله في مصر
ينقلنا إليه، أو يرسل راتبه إلينا!

جهاد لا يجب أن نسلّم مشاكلنا
إلى الظروف الحسنة
بل علينا أن نقدر أسوأها!
(إلى نورا.)
عجلي في طعامك
لدي محاضرة بعد نصف ساعة
لا أريد أن تفوتني

نورا اذهب وحدك
سألحق بك
لدي واجبات هنا

والوقت لا يفوتني

(يخرج جهاد لارتداء ملابسه.)

(إلى باسم.)

وأنت يا باسم؟

باسم الأستاذ مريض

نورا وباقي المواد؟

لا أبالي بالمحفوظات أستوعبها في الامتحان!

نورا لا يا باسم، أنا وجهاد ما كنا

نترك المحفوظات إلى ساعات الامتحان

كل مادة عليك أن تعطيها

حقّها من الدرس حتى تستوعبها

أترك كل شيء الآن

واذهب إلى مدرستك

سأنتظرك ونخرج معا

(تخرج نورا ويتبعها باسم، تدخل الأم من الطرف الآخر.)

صفية (تنظر إلى المطبخ ومائدة الطعام.)

تركوا لي كل شيء وذهبوا

الأولاد لا يرحمون!

"لماذا خلق الله الأم؟"

هكذا يفكّرون!

(تعيد ترتيب كل شيء وتـضع الـصحاف الفارغـة فـي المجلى.)

يا رب كيف أستمر؟

أذهب إلى معهد التمثيل

فأرى الوجوه الشابة

من جيل أبنائي

لديها من الإمكانيات المبدعة
أكثر مما لي
لا أحصل إلا على دور أم!
لم يعد لي مكان في التمثيل
إلا بعد أن تقيم مؤهلاتي
بعد عام من التدريب
في معهد التمثيل..
آه في سنّي أعود طالبة
بدون راتب يعينني
آه كم ستكون سخرية عدنان بي
لو درى بفشلي!
آه كم أجرمت في حق نفسي!
كان علي أن لا أترك المعهد
قبل أن أتزوج ويأسرني العهد
كنت أدفن أشواقي وأجعلها بدد
ويسبقني من هن أقلّ كفاءة في عالم الغد
كنت أكسب عيشي الوافر من مهنتي
فلا يؤثّر فيه دعوة التي
جاءت من بلاد بعيد لتنتزعه مني
والآن وقد ضاع الزمان مني
تنافسني من هي أكثر نضارة وعطاء منّي
آه ماذا فعلت بنفسي حين تركت هوايتي!
كانت ستكون لي الأدوار الأولى
وضاعت مني فرصتي! إلى الأبد إلى الأبد!
(تجلس في ركن المطبخ وتبكي.)
هذا عالمي، ربة بيت، عالة على زوجي وأبنائي

(تسمع قلقلة مفتاح بالباب تمسح دمعها وتحضر الطعام الزائد من اليوم السابق لتسخينه؛ يدخل جهاد.)

جهاد (يرى عيني أمه محمرتين من البكاء.)
ماما، حبيبتي، لماذا تبكين؟
هل أنت في شوق إلى والدي تتنهدين؟
والدمع لفراقه تذرفين؟
كلنا مشتاقون إليه، لعودته إلينا
مظلّة واقية فوق رؤوسنا
سراجا منيرا يضيء في حياتنا
(صفية تلج في البكاء.)
ماذا جرى لنا؟ زري حالنا
منذ دخلت تلك المرأة بيتنا
الأسرار تكتنفنا، والآهات تجمعنا
آه، لو أنه يعود سالما إلينا!
(يخرج جهاد إلى غرفته.)

عدنان (متلصصا على أطراف أصابعه، يقف وراءها ويغمض عينيها)

صفية جهاد، ابتعد عني، لا أطيق هذا المزاح

عدنان (يفلت يديه عن عينيها ويطوقها.)
أحقا لا تحبين المزاح؟
اشتقت إليك يا صفية!

صفية (تنهمر دموعها.)
وأنا يا عدنان

عدنان أتبكين؟

صفية دموع الفرح بعودتك يا عدنان!

عدنان لم أستطع الصبر عنكم

لم أستطع فراقك والأولاد
كل ليلة أتساءل ماذا تفعل صفية
كيف تدبر شؤونها؟
وأتساءل ماذا يفعل جهاد؟
ماذا تفعل نورا، وماذا يفعل باسم؟
كلهم دون سن الرشد بحاجة إلى رعايتي
ولا أريد أن أخسر أسرتي وبيتي
كان العرض مغريا ولكن البقاء مستحيل
لا أريد أن أخسر تقاعدي وباكرا أستقيل
أدرك الدكتور فهمي عمران رغبتي
في العودة إلى بيتي وأسرتي
طالبا مني أن أستمر في الكتابة
للمجلّة العلمية، وأحضر المؤتمرات
لأشرح أفكاري ودراستي
(يدخل جهاد فيرى والده، يصيح فرحا للقائه ويتعانقان.)

جهاد أترين يا أمي كيف استجاب الله لدعائي؟
(يدخل باسم فيرى والده يطير فرحا بلقائه.)

باسم هذا الصباح قلت لجهاد ونورا
بأن والدي لن يتخلّى عنا!
(تدخل نورا مشرقة الوجه، تركض نحو والدها وتعانقه.)
حمدا لله على سلامتك!
هذا الصباح دعوت ربي أن يجمع أسرتنا
على مائدة واحدة صباح مساء وعلى الغداء
(يركض الجميع لتهيئة المائدة.)

عدنان اتركوا كل شيء في مكانه
وليكن غذاؤنا في المطعم القريب

لنحتفل بجمع شملنا كأننا في يوم عيد

(يركض الجميع لتهيئة أنفسهم، تبقى صفية يمسك بيدها.)

كم اشتقت لغرفة نومنا!

صفية وأنا كم سالت دموعي على وسادتي

حين قطعت الأمل في عودتك!

أريد أن تصارحني بما جرى معك

قلت لي أن العرض كان مغريا

ولكن البقاء لم يعد محتملا

هذا ليس قول العالم الذي عرفته

أن يقنع بنقل المعرفة، وقد أُتيحت له

فرصة تطويرها، لا وحتى لو كانت في الصين

لا بد أن أمرا حدث وأريد منك اليقين

عدنان تطوير المعرفة في بلادنا، لن تتاح لأبناء هذا الجيل

الكثير ينقصنا، وليس لنا إليه سبيل

لا يفرز مجتمع متخلّف تطورا فكريا

ليس لدينا مراكز بحوث مجهزة

والدولة لا تدعمها وتعطيها الأولوية

تعتبرها ترفا فكريا

وجدت الدكتور فهمي عمران

يعاني كما أعاني من ضيق الزمان

في بلد يعطي المكافآت جزافا للمتسيسين

ويصنّف جهد العالم ترفا للمفكّرين

العبقرية عمل دؤوب لتعطي ثمارها!

سلسلة تجارب ومخابر باهظة التكاليف

لا يستطيع فرد أو أفراد القيام بها

صفية وكيف يقبل الدكتور فهمي بمثل هذه الشروط

ويستدعيك إليه لتساعده؟

عدنان أنا لست مصريا لأقبل براتب مغر
دون أن أقوم في المقابل بعمل مجدي
ولهذا اكتفيت بتبادل المعرفة مع إخواني
في مصر لنكون نواة المستقبل
لماذا تهاجر الأدمغة للغرب لتُستوعبا
ولا تجد في الوطن لها ملعبا؟
في جامعتي كان شاب قروي أتنافس
معه على المركز الأول
والده موسر فأرسله إلى "هارفرد"
واليوم أصبح من أكبر علماء الذرة
ولكنّه سجين ويا للأسف! مُغضبا
وُضعت عليه الحراسة المشددة
كي لا تغدو معرفته لبلاده مسربا

صفية ربما شارك في علمه في دمار لبنان!

عدنان العلم ليس مجردا في عصور القوميات
العلم ليس له أوطان
لو أُتيحت لي فرصة زميلي
لرفضتها في عالم يقوم بالعدوان
قلت لنفسي "من الخير يا عدنان
أن تضيء شمعة المعرفة في بلادك
ولا يتحول علمك، إلى أذية الأوطان"

صفية ما هي أخبار "سناء لطفي"؟

عدنان حضرت لها فيلما، وهذا يكفي!

(يضحكان)